السلفية الليبية من المواءمة إلى المواجهة

مصطفى زهران
باحث إسلام سياسي

ملخص

تعد الحالة السلفية الليبية من المسائل الأكثر تعقيدًا في المشهدين السياسي والمجتمعي العربي والإسلامي خلال العقود الثلاثة الأخيرة.

يرجع ذلك لعوامل كثيرة، أبرزها قلة المصادر التي تناولت الحالة بشكل خاص، بالتوازي مع قابليتها السريعة نحو التشكّل والتحوّل في أنساق وقوالب متغيرة، بما لا يتيح الوقوف على كل مظهر لها أو تشكيل على حدة. إضافة إلى السياقات العامة التي تحدّد وجهتها السياسية والمجتمعية في كل مرحلة منها، وفقًا للمتغير الذي تفرزه توجهات السلطة صوب تلك السلفية في الداخل الليبي.

بيد أنه لا يمكن بأي حال من الأحوال دراسة الظاهرة السلفية الليبية بمعزل عن مخاضاتها في المنطقة العربية، فانبعاثها جاء بالتوازي مع السلفيات الأخرى في كل من: مصر والشام والمغرب العربي، كردة فعل على التأثّر المباشر بالسلفية الخليجية وقدرتها التأثيرية العالية التي اتخذت أشكالاً وأنماطًا مغايرة وفقًا لجغرافية المكان التي تولدت بها.

تحاول هذه الدراسة تتبع تطورات الحالة السلفية الليبية منذ نشأتها بتنويعاتها المتعددة وتأثيرات فترة الرئيس الليبي السابق معمر القذافي وأبنائه فيها، انتهاءً بالثورة الليبية في 17 فبراير وما عكسته من تحولات على بنية التيار السلفي، محاولين التركيز على تحولاته الراديكالية والجهادية، وفي النهاية نستشرف مستقبل التيار السلفي الليبي.

المخاض السلفي

كان العقد السابع من القرن الفائت على موعد مع انبعاث حالة سلفية جديدة تنقض الإرث الصوفي المنهجي والطرقي الذي ظل لعقود تلو عقود متوالية ومتتالية السمة الرئيسة للتدين المجتمعي، خاصة الشعبي منه على الأرض الليبية. المخاض السلفي الجديد جاء بتنويعاته وأشكاله المختلفة مع بروز العلمية منه والدعوية.

فلم يكن الانبعاث السلفي في الداخل الليبي بمعزل عن المتغيرات التي شهدتها

رؤية تركية
2014 - 11
152 - 135

المنطقتان العربية والإسلامية في فترتي السبعينيات والثمانينيات من الألفية السابقة، إذ إن التأثير السلفي الخليجي كان له عميق الأثر في تمدد السلفية على أنها فكرة ومنهج أيديولوجيان، ولاسيّما السلفية الوهابية منها، عززها ما كان يعرف بالصحوة الإسلامية في الفترة ذاتها، ودعمها التبادل المعرفي مع رموز السلفية الصاعدين آنذاك في شبه الجزيرة العربية، التي تعد -بلا للشك- الحاضنة الأولى للسلفية المعاصرة.

هناك عامل آخر -لا يمكن عدم الالتفات إليه- هو أن السلفية كانت تحمل بين جنباتها عوامل تمددها وبقائها في البنى السياسية والمجتمعية الليبية، نظرًا للتوافق الذي بدا منذ انطلاقها مع السلطة بفارق كبير عن قوى الإسلام السياسي الأخرى، مثل جماعة "الإخوان المسلمين" وحزب "التحرير الإسلامي" السابقين على الوجود السلفي هناك؛ نتيجة الضربات الأمنية المتلاحقة لهما، خاصة ما عرف بالثورة الثقافية في عام 1973م. وذلك قبل أن يشهد هذا التيار تحولات بنيوية دفعته لتبني الخيار الجهادي ناسفًا الأطروحة السلفية التقليدية القائلة بعدم الخروج على الحاكم.[1]

وفي المقابل، تأثرت السلفية الليبية إلى حد كبير بأدبيات الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي، وأصبحت أحد أهم الروافد الفكرية للحالة السلفية في الداخل الليبي، دعمتها وغزتها رحلات الحج والعمرة التي كانت ساحة التقاء بين الشباب الليبي -خاصة طلبة العلم منهم- وحملة الفكر الوهابي هناك.[2]

بيد أن ما فرضه الرئيس الليبي السابق معمر القذافي في البلاد من حصار شديد على المطبوعات الصادرة والواردة كان له بالغ الأثر في ازدياد رغبة جمهور السلفيين من طلبة العلم في اقتناء "الأدبيات الوهابية"، والتعرف على أفكار الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب، الذي أسهم في خلق جيل تربى وتشبع بأفكار السلفية الوهابية، فيما أسهم دخول الكتب بطرق غير شرعية أو "مهربة" نوعًا من الزخم والقدرة على استلاب العقول السلفية الراغبة في هذا الممنوع[3].

في خضم هذا الزخم السلفي انتبهت السلطة إلى خطورة صعود التيار السلفي المفاجئ، وما يمكن أن يلعبه في المشهد الديني في مراحله المستقبلية، فسعت إلى اختراقه تبطويع وتوظيف أحد التيارات السلفية لتكون لسان حالها، فتلعب دور المشرّع لبقائها وممارساتها في السلطة من خلال الاستفادة من التجارب السلفية الأخرى، التي تنتمي لهذا النوع المهادن من السلطة، والتي تجلت بشكل كبير في "السلفية المدخلية" التي نالت نصيبًا وافرًا من الاحتواء والتقدير من سلطة القذافي وأجهزته الأمنية والسلطوية، فقام بتقريب علمائها ورموزها، وأعطى لهم مساحة كبيرة من الحرية في إقامة ندواتهم وفعالياتهم بدون رقيب أو حسيب[4].

إلا أن هذا التيار المدخلي كان يحمل عناصر تآكله السريعة، فلم يستفد من الطرفين السياسي والمجتمعي الذي يلتحف بهما، فعدم خضوعه لهيكلة تنظيمية أو قيادة حاكمة بالتوازي مع عشوائية الأهداف[5] والممارسة والرؤية الأيديولوجية- جعله هشة لا تستطيع البقاء، أو الوقوف صلبة في وجه المتغيرات من حولها خاصة في داخل البنى السلفية التي تمخضت عنها أشكال جديدة كانت أكثر قوة وصلابة منها.

كان نظام القذافي في أشد الحاجة إلى هذه السلفية لمجابهة الاختراق الجهادي للبنى السلفية في المشهد الليبي، والذي كانت تمثله الجماعة الإسلامية المقاتلة منذ أحداث الرجمة أواخر 1988 بعد أن أضحت مظاهر التدين السلفي التقليدية إحدى خصائص المشهد الديني والمجتمعي الليبيين. فيما اعتبره البعض إعادة تشكيل لخريطة التيار الإسلامي بليبيا، وباتت الخيلاء صفة المَداخلة في الداخل الليبي، وعادت مقولة "السلفية طريق النجاة" سببًا رئيسًا في ألا يمسهم سوء خلافًا لأصحاب الأفكار الإسلامية الأخرى[6].

الساعدي القذافي

في ظل تبادل الأدوار داخل السلطة الحاكمة طفا على سطح الأحداث "الساعدي" نجل معمر القذافي[7]، ولمع دوره الجديد في المشهدين السياسي والمجتمعي، ولاسيّما الديني منه كراع للسلفية في ليبيا، وبالفعل تم التحضير لأن تكون "طرابلس" معقل هذه السلفية والتجمعات التي كانت تؤيد الساعدي في مرماه الداعم للمَداخلة، والتي كانت تتجاوز ممارسات وسلوكيات القذافي غير المنطقية والتي كانت مثار جدل كبير.

التقط الساعدي القذافي من أبيه خيوط اللعبة في المشهد الليبي الداخلي، وما يحمله من تصور مضاد لتصاعد تيارات الإسلام السياسي والجهادي في المنطقة آنذاك، وكشأن أي نظام يخشى تأثير هذه التيارات لجأت سلطة القذافي إلى هذه الممارسة من باب توزيع الأدوار، من أجل تثبيت دعائم استقراره في الساحة الدينية الداخلية، فقدّم للمداخلة الحرية المطلقة التي سمحت لهم بالتبختر والاغترار[8].

لعب الساعدي أيضًا دور الوسيط بين الدولة -خاصة القوى الشرطية والأمنية- من جهة والتيارات السلفية والإسلامية من جهة أخرى[9]، فكان سببًا في الإفراج عن الموقوفين من المنتسبين للتيارات السلفية، وهو ما أهلّه لعلاقة متينة مع رموز التيار كلّه، وهذا أثر إيجابيًّا في انتشار هذا النوع من السلفية على أنه نتيجة طبيعية لأيديولوجية

التدجين والمهادنة التي أرستها سلطة القذافي وأبنائه لضمان بقاء النظام فترة أطول.

تحركات الساعدي لتوصيل دعائم المَداخلة في الداخل وربطهم بالخارج وصفت بالقوية والجادة، لعل أبرزها زيارته الشهيرة للشيخ السلفي ناصر الدين الألباني، التي حملت الكثير من التأثيرات الإيجابية في شخص الساعدي. إذ كان المشهد الأبرز هو بكاء الساعدي ونشيجه بين يدي الألباني، وهوما جعله يوصف في الأوساط الدينية الليبية بعد ذلك بـ"الأخ الساعدي"[10].

وحينما دقت الثورة الليبية أبوابها كانت السلفية المَدخلية في ليبيا على موعد مختلف، فوقفوا من الثورة موقف المعارض، ودعموا نظام القذافي دعمًا أضفى على ممارساتهم العدائية تجاه الثورة شرعنة القتل والتنكيل.

في ذلك يقول الباحث الليبي السنوسي البسيكري: "استوى المدخليون على سُوقهم كما أراد لهم نظام القذافي، فلزموا بيوتهم خلال فترة ثورة الـ17 من فبراير، بينما ظهر لهم بأس وقوة بعد التحرير، استخدموهما في تحطيم الأضرحة ونبش القبور، الأمر الذي أثار موجة من الخوف والذعر".

جماعة التّبليغ والدّعوة

كان الفضاء السلفي الليبي يحمل عددًا من التنويعات والتشكيلات شأنه في ذلك شأن بقية المجتمعات العربية والإسلامية، إلا أن المتغير في الساحة الليبية يمكن تسميته بـ"حالة الصعود والهبوط" التي اتسمت بها الحالة الدينية آنذاك فترة القذافي، والتي تأرجحت بين التوجهات السياسية والدعوية فضلًا عن الراديكالية أيضًا.

من بين هذه التنويعات كانت جماعة التبليغ والدعوة الليبية –العابرة للقارات والتي تعد سابقة لما عداها من سلفيات– موجودة في الداخل الليبي منذ تأسيسها في ستينيّات القرن الماضي، فكانت كعادتها في البلدان الأخرى تنشط في المساجد، وتجتهد في استقطاب الشباب ممن لديهم أمية دينية ومعرفية، لاقتصارهم على أداء النوافل في المساجد وحسب، بالتوازي مع الالتزام الشكلي[11].

وبرزت هذه الجماعة في الداخل الليبي لفترة لم تدم طويلًا، فقد كانت فترة الثمانينيات محطتها الأخيرة، ولم يتعدّ عمرها ثلاثة عقود متوالية. وتصدرت أسماء عدة شخصيات في هذه الجماعة، من أبرزهم الداعيان عبد السلام المشيطي، ومحمد خضير، إضافة إلى الشيخ صالح التيناز الذي يعد من الشّخصيّات الأكثر نشاطًا وحراكًا حينذاك، دفعه نشاطه الدعوي لأن يقود قاطرة الرحلات والقوافل الدعوية التي تسير بين الناس لحثهم على الانضواء تحت ألوية التبليغ والدعوة فضلًا عن تأثير سيرته وأخلاقه في جذب الأتباع[12].

فيما أسهم ذلك الطقس الدعوي المعتدل والقيمي الذي أرسته الجماعة ورموزها في الداخل الليبي– في بزوغ نجم كثير من الدعاة في ليبيا، أبرزهم الشّيخ مبروك غيث المدهوني الذي أثّر بشكل مباشر في طلّاب جامعة طرابلس منذ أن كان معيدًا في كليّة العلوم 1976، ومنهم كذلك الشيوخ محمود المصراتي وبشير الخرّوبي وحسن اللّيدي، وغيرهم.

بيد أن سلطة القذافي ونظامه كانا لا يريدان حضورًا أو بروزًا لأي شكل أو دور في الداخل الليبي، قد يمثل لهم قلقًا مستقبليًّا وإن كان يخاصم السياسة والساسة. وسرعان ما تشحذت همم النظام في إعلان الحرب على الجماعة، فلم تلق قبولًا لديه على الرغم من أنها فرع أكثر تدجينًا من المداخلة، إلا أنها لم تصنع على أعين النظام، وهذا ما دفعه من إبداء الخوف والقلق من تحركاتها.

سارع نظام القذافي وأجهزته الأمنية إلى القضاء على هذه الجماعة الدعوية، ففي مَوسم الحجّ عام 1985، عثر على أحد دعاة التبليغ والدعوة مقتولًا في مدينة جدة، ويدعى الشّيخ مبروك، تم الحديث حينها عن تورّط ما يسمّى باللجان الثورية التابعة للنظام مباشرة في حادثة القتل، فضلًا عن اعتقال الشيخ محمد أبو سدرة عام 1989 ولم يفرج عنه إلا عام 2009[13]، وغيرهما من الحوادث كثير. إلا أن هذه الجماعة آثرت الرحيل عن المشهد المجتمعي الليبي ولم تعد مرة أخرى.

الجماعة الإسلامية المقاتلة

يمكننا اعتبار الجماعة الإسلامية المقاتلة أحد روافد السلفية الليبية ذات النزعة الجهادية، والتي تشابهت إلى حد كبير مع ممارسات وآليات الجماعة الإسلامية في مصر فترة الثمانينيات وأوائل التسعينيات من القرن الفائت، بل وتزامنت مع انطلاقها.

مرت الجماعة الإسلامية المقاتلة منذ نشأتها كجماعة جهادية على يد عوض الزواوي بمرحلتين: أولاها سرية منذ انطلاقها في 1982، وأخرى علنية، حينما تم الإعلان عن تشكيلها في 1995، واتسمت المرحلة الأولى التي انتهجتها بـ"الدعوة السرية"[14] وأسهمت بقدر كبير في إيجاد التعاطف الذي تحول فيما بعد إلى الدعم المباشر من بعض الذين عانوا من الظلم الشديد من ممارسات القذافي الاستبدادية.

الجماعة الإسلامية المقاتلة أحد روافد السلفية الليبية ذات النزعة الجهادية، والتي تشابهت إلى حد كبير مع ممارسات وآليات الجماعة الإسلامية في مصر فترة الثمانينيات وأوائل التسعينيات من القرن الفائت، بل وتزامنت مع انطلاقها

فيما حرصت الجماعة المقاتلة على ألا تحيد عن هذه المنهجية طيلة عقد كامل، محاولة جمع الأنصار والأتباع لتدشين قاعدة عريضة لهيكلها التنظيمي الجهادي، لتخوض أشرس محطاتها الفاصلة مع القذافي فيما بعد، حينما اشتد ساعد المقاتلة وأخذت في تغيير خطواتها على الأرض بهدف الانقلاب على القذافي وأسرته والإطاحة بحكمهم، خلال الأعوام 1986 1987- و1989[15] من خلال تجربة تستلهم تجربة الثورة الإسلامية في إيران 1979 التي أنهت حكم الشاه، شأنها في ذلك شأن بقية التيارات الإسلامية الثورية بالعالم العربي التي تأثرت بالتجربة الإيرانية إلى حد كبير.

بيد أن التعامل الأمني مع الجماعة بمحاولة اجتثاثها مع بدايات العقد التاسع كان شوكة النظام في حلق الجماعة، كادت تفتك بها بعد أن قتل وزج منهم بالآلاف داخل المعتقلات والسجون، وعلى رأسهم المؤسس الشيخ عوض الزواوي، وهذا أجبر عددًا منهم على

خسرت الجماعة المقاتلة الكثير أمام ضربات القذافي الأمنية الاستئصالية، ولاسيّما بعد جهر الجماعة بنفسها وإعلانها رغبتها في إسقاط القذافي، والقضاء على أهم رموزها، من بينهم الشيخ صلاح فتحي بن سليمان (المعروف باسم أبي عبد الرحمن الخطاب)

الفرار إلى خارج البلاد[16]. وفي هذه الأثناء ومع بداية التسعينيات نشط اسم عبد الله بلحاج القائد الجديد للجماعة المقاتلة، والذي أخذ على عاتقه بلورة مشهد تأسيسي جديد داخل الجماعة، محاولة الاستفادة من أخطائها خلال فترة الثمانينيات، حيث منيت خلالها عمليات الجماعة بخسارات فادحة نتجت عن عدم الاحترافية وبدائية التخطيط والتنفيذ في مواجهتها مع القذافي. كان أبرزها عملية تحرير أحد أفراد الجماعة من داخل مشفى في مدينة بنغازي الليبية، وانكشف المخطط البدائي لها، وقتل بعضهم، وزج بآخرين في المعتقلات[7].

خسرت الجماعة المقاتلة الكثير أمام ضربات القذافي الأمنية الاستئصالية، ولاسيّما بعد جهر الجماعة بنفسها وإعلانها رغبتها في إسقاط القذافي، والقضاء على أهم رموزها، من بينهم الشيخ صلاح فتحي بن سليمان (المعروف باسم أبي عبد الرحمن الخطاب)، الذي لقي حتفه في إحدى المعارك مع القوات الليبية بالقرب من درنة في أيلول/ سبتمبر 1997[18].

إلا أن فرار عدد كبير من الجماعة الإسلامية إلى الخارج قسرًا لعب أدوارًا مهمّة فيما بعد. ما دفع البعض منهم إلى اللحاق بركب التنظيمات الجهادية الأخرى في مناطق الجهاد العالمية ولاسيّما أفغانستان وحربها الضروس آنذاك مع روسيا ومن ثم أمريكا واحتلالها لأفغانستان 2001.

كانت القاعدة هي التي تقود قاطرة الجهاد في ذلك الوقت واستفادت المقاتلة من لزومها القاعدة وطالبان في الأمور القتالية والعسكرية، والتي سيكون لها دور بارز في حربها ضد القذافي عقب الثورة الليبية 17 فبراير. خلال ذلك برزت أسماء شاركت في الجهاد الأفغاني، مثل الشيخ أبي عبد الله الصادق، والشيخ أبي المنذر الساعدي، وأبي أنس الليبي، وبعد انتهاء الحرب الجهادية الأفغانية ضد السوفييت، عاد الليبيون إلى وطنهم لتكوين خلايا، أو انتقلوا إلى السودان لإنشاء قاعدة للعمليات من أجل وضع خطط الإطاحة بنظام القذافي[19].

كما لجأت بعض الرموز إلى بريطانيا، إما عن طريق النفي المباشر أو بغية اللجوء السياسي، وكانت أعينهم تراقب المشهد الليبي وتطوراته وتصاعد فساد أسرة القذافي، وكانوا مصدر دعم لوجيستي ومالي للقوى المناهضة للرجل.

برز في ذلك الوقت اسم سيف الإسلام القذافي في سلسة تبادل الأدوار بين أبناء القذافي في التعاطي مع المشهد السياسي المترهل -كما ذكرنا آنفًا- ففي الوقت الذي اتجه خلاله الساعدي نحو دعم السلفية المدخلية وخلق تيار ديني مدجن داعم لسلطة آل القذافي، أسند لسيف الإسلام دور آخر في التعامل مع ملف الجماعات الجهادية التي مثلت إزعاجًا للنظام خلال ثلاثة عقود متتالية، بهدف إبراز النظام

كداعم للديمقراطية في البلاد، وفي ذات الوقت يحاول سيف الإسلام تقديم نفسه للشارع الليبي بوجه أكثر إشراقًا[20] تمهيدًا لحالة التوريث في السلطة التي كانت متوقعة بشدة لولا الثورة بعد ذلك.

وبالتزامن مع المراجعات التي صدرت في مصر من قبل الجماعة الإسلامية كانت الفكرة ذاتها تدور داخل أروقة سجون القذافي، وبالفعل فقد أصدر قادة «الجماعة المقاتلة» في ليبيا في أيلول/ سبتمبر –2009 مراجعات جديدة للجهاد في شكل وثيقة دينية من 417 صفحة، بعنوان "الدراسات التصحيحية".

الدراسات التصحيحية

ظلت المراجعات الفكرية للتنظيمات الجهادية مدة عقد كامل مثار شك من قبل البعض، وتصاعدت علامات الاستفهام حول مدى جدواها ومصداقيتها. فيما ذهب آخرون إلى أن هذه التنظيمات مارست من خلال هذه المراجعات نوعًا من "التقية"، رغبة في البقاء، أي خشية الفناء ولدفع مقصلة الأنظمة بعيدًا عنها، لذلك كانت المراجعات بمثابة صمام الأمان الذي حافظ على بقايا الجماعة الإسلامية المقاتلة على الأرض الليبية لتكون فيما بعد لها دور جزئي في إسقاط القذافي، وكانت سببًا في إطلاق سراح الكثير من قادة الجماعة، وشهد عام 2010 عام الخروج لعدد كبير منهم، على رأسهم الشيخ عبد الوهاب قايد، شقيق أبي يحيى الليبي المُنظِّر الأيديولوجي الراحل في تنظيم «القاعدة»، ومشرف العمليات العسكرية في أفغانستان، وأغلق مشهد الجماعة الإسلامية المقاتلة إلى الأبد بعد سقوط القذافي[21]، وانصهار الجميع في أحزاب سياسية تلاشت معها المشاهد القديمة وأصبحت قابلة لإثارة الدهشة وحسب.

وحينما دقت الثورة أبواب ليبيا دفعت الجماعة المقاتلة دفعًا إلى الالتحام بالقوى الثورية المسلحة ضد نظام القذافي معتمدين في ذلك على خبرتهم القتالية في السابق، وأبرزهم، الشخصية البارزة في «الجماعة المقاتلة»، عبد الحكيم بلحاج، الذي أصبح فيما بعد رئيس "المجلس العسكري في طرابلس". كان الاختبار الصعب لجدوى المراجعات من قبل المقاتلة، حينما تم الإطاحه بالقذافي في أن تحافظ على سلميتها بهذا الاستقرار السياسي النسبي في البلاد، ولم تجنح إلى العنف أو تَعُد إليه، وقامت بتغيير اسمها إلى "الحركة الإسلامية الليبية للتغيير"، وانقسمت إلى فئتين سياسيتين تنافستا في الانتخابات التشريعية في تموز/ يوليو 2012: "حزب الوطن" المعتدل ذي القاعدة العريضة، والذي انضم إليه بلحاج، والكيان الأصغر، "حزب الأمة الوسط" الأكثر محافظة وذي الصبغة الأكثر إسلامية، والذي انضم إليه أغلب أعضاء «الجماعة المقاتلة» تحت قيادة الشخصية البارزة سامي الساعدي[22].

لم يفز "حزب الوطن" بأي مقعد في الانتخابات، وحصل "حزب الأمة الوسط" على مقعد واحد، تم تخصيصه لعبد الوهاب قايد، شقيق الراحل أبو يحيى الليبي. وبدت الأحزاب الإسلامية متعثرة والصغيرة ضعيفة أيضًا. كما لم يفز "حزب الأصالة" السلفي[23]، ونجحت الأحزاب الإسلامية في ميادين القتال ولم تفلح في عالم السياسة، مما جعل المشهد السياسي يبدو قاتمًا ومرتبكًا.

أنصار الشريعة

مثلت الثورة الليبية محور تشكل قوي وجذري لشكل وطبيعة قوى الإسلام السياسي التي تطورت بفعل تسارع الأحداث داخليًا، فبدت بتنوعها ترتدي أثوابًا مغايرة لسابقاتها، وبدا المشهد بمثابة إعادة رسم ملامح خريطة تلك القوى، كان أبرزها ولادة تيار جديد يجمع بين السلفية كفكرة والجهاد كأيديولوجية حركية، في شكل خليط بين السلفية المتجذرة في بنية المجتمع الليبي -منذ تشكلها في السبعينيات والثمانينيات- من جهة والإرث الجهادي من قبل الجماعة المقاتلة من جهة أخرى[24] بالتزامن مع الصعود السلفي البارز عقب ثورات الربيع العربي، خاصة الجهادية منها والتي تمركزت في كل من تونس وليبيا.

موازاةً لذلك، كانت ليبيا على موعد مع تشكل للسلفية الجهادية أطلق عليه فيما بعد أنصار الشريعة، وقد اختلف المراقبون حول بدء انطلاقها وتشكلها، إلا أن التفسير الأقرب وفق تقارير استقصائية خبرية أفادت بأن الإعلان الرسمي لها كان في فبراير 2012 في شكل كتيبة عسكرية[25]، وهو طور مختلف عن سلفيات جهادية في المنطقة انطلقت أطوارها التكوينية بشكل آخر عن أنصار الشريعة، أسهم في ذلك وعززه بقوة التشكل الميليشاوي على الأرض الليبية. فيما تحدث البعض عن كونها تشكلت عقب الانفصال عن "سرايا راف الله السحاتي" التي شاركت في تأسيسها.

من اللافت أن غالبية من كانوا في سجون القذافي أو المنافي تولوا مناصب عسكرية ميليشاوية عقب الثورة الليبية، وكانوا أمراء، مثل محمد الزهاوي الذي كان معتقلًا في سجن بوسليم الشهير، ثم ما لبث أن خرج ليعتلي القيادة الجهادية عبر أنصار الشريعة.

كانت ليبيا على موعد مع تشكل للسلفية الجهادية أطلق عليه فيما بعد أنصار الشريعة، واختلف المراقبون حول بدء انطلاقها وتشكلها، إلا أن التفسير الأقرب وفق تقارير استقصائية خبرية يفيد أن الإعلان الرسمي لها كان في فبراير 2012

متخذًا من بنغازي نقطة انطلاق، ثم في درنة بقيادة أبي سفيان بن قمو المعتقل السابق في غوانتانامو. حيث إن اختيارات أنصار الشريعة كانت تتم بعناية شديدة، بأن تكون ممن لهم إرث جهادي ونضالي مع نظام القذافي وأمريكا. ثم ظهرا بشكل جلي خلال تجمع حاشد في يونيو 2012، وغدت الأعداد الكبيرة لأنصار الشريعة التي قدرت بالآلاف محور تخوف من تحركاتها المستقبلية[26].

فيما تناقلت الأخبار وتواترت عن وجود فرعين لأنصار الشريعة خارج مدينة بنغازي، هما: أنصار الشريعة في سرت، وأنصار الشريعة في أجدابيا، وتشير القرائن إلى أن فرع سرت قد أُسِّس في 28 يونيو 2013، وكان آمر الفرع وقتها أحمد علي التير المكنى "أبو علي"، وتم تنصيب الشيخ فوزي العياط متحدثًا رسميًّا باسم أنصار الشريعة سرت، فيما أُسِّس فرع أنصار الشريعة– أجدابيا في 4 أغسطس 2013. فضلًا عن وجود ما يسمى باللجنة الشرعية للكتيبة، التي أسند إليها ضبط الكتيبة شرعيًّا وترأسّها ناصر الطرشاني، بالإضافة إلى جناح دعوي وخيري يهتم بعقد الملتقيات الدعوية وتوزيع المساعدات على أسر محتاجة وبعض المشروعات الخيرية[27].

بالتوازي مع ذلك سعت أنصار الشريعة بكل وسيلة التَّماس مع المجتمع الليبي، الذي بدأ يلفظ أفعالها ومعاركها التي تشتعل بين الفينة والأخرى مع الثوار وعدد من أبناء القبائل العربية هناك، ورغبتها التحرك خارج سياق الدولة وأطرها الحاكمة، التي بدت بفعل الوضع القائم هناك إلى الإخفاق بكل المقاييس– صوب تفعيل النشاط الدعوي والخدماتي في الأماكن التي يوجدون فيها لتسيير القدرات العسكرية التي تتسارع نحو التطور بالتوازي مع التواصل المجتمعي بهدف تجذير التنظيم في الداخل، والوقوف دون تبني معارضة قوية له من الشارع الليبي[28].

يترجم هذا التنظيم فكرة تطبيق الشريعة في ممارسات تقليدية وبدائية إلى درجة كبيرة، من خلال مصادرة الكحول ومكافحة المخدرات، بعد أن أضحت ليبيا أرضًا خصبة لمثل هذه الأعمال، ويمكننا الحديث عن التلاقي الفكري لا التنظيمي بين أنصار الشريعة والقاعدة، ولا يمكن اعتبارها امتدادًا للتنظيم في الداخل الليبي.

في المقابل شهدت بنغازي نوعًا من التوتر والاضطراب بين السلطة المركزية هناك وميليشيات أنصار الشريعة، فيما احتدم الخلاف بينهما إلى حد وصل إلى المواجهة المسلحة التي أسفرت عن مقتل الكثير من الجانبين، الأمر الذي دفع الحكومة إلى إخراج الميليشيات المسلحة خارج المدن فيما رأته أنصار الشريعة محاولة لاستئصالها[29].

سعت أنصار الشريعة بكل ما أوتيت من قوة نحو ترسيخ وجودها من خلال مقومات رئيسة، أهمها: التواصل المجتمعي

المباشر، والدفع نحو التمدد في الفضاء المجتمعي بالتوازي مع الآخر السياسي في الداخل الليبي، يتمثل في تشكل جهادي ميليشاوي يحقق لها البقاء والنفوذ في آن معًا، ومن ثم الانطلاق من الأرض الليبية صوب مؤازرة ومساندة مظلومية الشعوب المسلمة في العالمين العربي والإسلامي. فهو تيار يقدّم نفسه على أنه أممي بالأساس... ومن هنا انطلقت إلى محاولة توفير الغذاء والعناية الصحية والتعليم الديني وغيرها من الخدمات، كمساعدة الفقراء وإصلاح الطرقات والجسور وترميم منازل الفقراء والمحتاجين وتوفير لحوم الأضاحي لهم في الأعياد، فضلًا عن التوسط في حل الخلافات بين القبائل، وهو ما يفسر انضمام أعداد ليست بالقليلة إلى التنظيم والالتفاف حول قيادته[30].

بدوره حاول التنظيم الانتقال من النطاق المحلي إلى الدولي، كما حدث في تعاطيهم الإيجابي مع سوريا والسودان على سبيل المثال. ففي الفترة من 19 إلى 23 يناير 2012 أرسلت أنصار الشريعة مساعداتها بشكل علني إلى سوريا بعد جمعها عشرات آلاف الدولارات للقيام بهذه المهمة التي عكست قدرة التيار التنظيمية العالية، وقبل ذلك قامت بمساندة أبناء السودان في مواجهتهم الفيضان الذي اجتاح بلادهم في سبتمبر سنة 2013 والتي اجتاحت أجزاءً واسعة من البلاد وخلفت أضرارًا جسيمة، إذ دمرت أكثر من 25 ألف مسكن وقتلت قرابة خمسين فردًا، وبدا أبناء الشريعة يرتدون في كل محطة من محطاتهم قمصانًا وسترات، والتي بدت أيضًا خلال تقديم المساعدات

سعت أنصار الشريعة بكل ما أوتيت من قوة نحو ترسيخ وجودها من خلال مقومات رئيسة، أهمها: التواصل المجتمعي المباشر، والدفع نحو التمدد في الفضاء المجتمعي بالتوازي مع الآخر السياسي في الداخل الليبي

لقطاع غزة على إثر ضربة إسرائيلية موجعة في يناير 2012[31].

سعى تنظيم أنصار الشريعة الى البرهنة على وجوده وكينونته على أنه تنظيم حقيقي قادر على التحرك في البلدان المختلفة، وأن له أهدافًا ومشاغل أوسع خارج الحدود الليبية.

لذلك حاول الكثيرون الربط بين تنظيم أنصار الشريعة في ليبيا وتونس من حيث الأفكار الجهادية والتنسيق العملياتي والدعم المالي واللوجيستي، في حين أن تمويل التنظيم غير معروف، ويدعي أعضاء فيه أنه يأتي من التبرعات، وتحدث بعضهم عن امتداداته في مصر وسوريا وبلدان أخرى، ومن هنا كانت نقطة التخوف الرئيسة منه، فضلًا عن ممارساته في الداخل الليبي وفتح مواجهات سياسية مباشرة مع الخصوم السياسيين والدولة[32].

كان الهجوم على البعثة الدبلوماسية الأمريكية ببنغازي بمثابة الفخ الذي وقع فيه، بعد أن تم اتهام التنظيم بأنه يقف خلفه مباشرة، خاصة بعد مقتل السفير الأمريكي (كريستوفر ستيفنز) وثلاثة أعضاء آخرين في البعثة، وعلى الفور، أي عقب الحادث مباشرة تم تصنيفه من قبل الولايات المتحدة في 10

يناير 2014 بفرعيه في درنة وبنغازي على أنه منظمة إرهابية.

وكان لأنصار الشريعة أخطاء عدة، أهمها المواجهة مع القوات الحكومية والجيش الليبي، وتحديدًا مع كتيبة شهداء الزاوية التابعة للجيش داخل مدينة سرت، التي أسفرت عن مقتل الكثير من الجانبين، وإثر ذلك قامت الكتيبة بقصف مقر أنصار الشريعة في سرت. وكانت هذه الاشتباكات الأولى التي تحصل بين كتيبة أنصار الشريعة في سرت والجيش الليبي[33].

ومن سرت إلى بنغازي دارت رحى المعارك بين أنصار الشريعة والجيش الليبي والقوى الأمنية هناك، وتوسعت لتشمل عدة مناطق داخل المدن الآهلة بالسكان، حيث بدأت بعد أن تم استهداف إحدى دوريات القوات الخاصة والصاعقة التابعة للجيش الليبي كانت متمركزة في جزيرة دوران- منطقة البركة وسط المدينة بالقرب من مقر جماعة أنصار الشريعة. وامتدت الاشتباكات حتى منتصف النهار في مناطق متعددة من المدينة مخلفةً عددًا من القتلى والجرحى[34].

كانت أحد أهم التأثيرات الجهادية السلفية في المنطقة الذي تجلى بوضوح عقب الربيع العربي- ظهور تنظيم أنصار الشريعة، الذي كانت لديه -ولا يزال- أحلام أممية عبر عنها بدقة أحد أبرز المنظرين الجهاديين العالميين، الشيخ أبو المنذر الشنقيطي، ذو الأصل الموريتاني الذي دعا -في مقالة له- المسلمين إلى إقامة جماعاتهم الدعوية المسماة بـ"أنصار الشريعة"، كلٌّ في دولته، ثم الاتحاد في كتلة واحدة.

بالفعل وبالتوازي مع الوجود الفعلي لأنصار الشريعة في ليبيا وجارتها تونس، كانت هناك محاولات على استحياء في مصر لميلاد كيان موازٍ، الأمر الذي دفع للإعلان عن ميلاد "أنصار الشريعة" في مصر، والتعبير عن نفسها على أنها جماعة منظمة على الأرض بقيادة كل من أحمد عشوش وسيد أبو خضرة[35].

فيما أصدرت حركة "أنصار الشريعة" حينذاك وثيقة الإنشاء للطليعة السلفية المجاهدة، وضعت فيها الإيديولوجية المستقبلية للتنظيم التي تقف على رأسها (إقامة الخلافة الإسلامية، دعم المجاهدين في كل مكان، الاهتمام بالقضايا الإسلامية، تحقيق التوحيد الخالص)، وبعد اعتقال قيادات التنظيم أثبت تورطه في أعمال جهادية في سوريا، والمساعدة على تدفق الجهاديين من الداخل إلى الخارج، إلا أنها وُئدت سريعًا، وما لبث أن توارى أنصارها خلف القضبان[36].

حادثة السفارة الأمريكية

يمكننا الوقوف على حادثة السفارة الأمريكية لاعتبارات مهمة، ولاسيّما أنها أشعلت فتيل الأزمة في الداخل الليبي وصدرته خارجيًّا، بعد أن فجرت أزمة الميليشيات الإسلامية إثر الحديث عن تورط أنصار الشريعة في الاعتداء على السفارة، خاصة بعد مقتل السفير الأمريكي كريس ستيفنز وثلاثة أمريكيين آخرين آنذاك، وفي خضم مشهد عبثي حاول تنظيم القاعدة استثمار المشهد لصالحه، وأعلن عن مسؤولية القاعدة في شبه الجزيرة العربية عن الهجوم على السفارة انتقامًا لمقتل الشيخ أبي يحيى

الليبي أحد قادتها في غارة جوية بطائرة بدون طيار في يونيو/ حزيران 2012.

في المقابل استشعر تنظيم "أنصار الشريعة" بالخطر المحدق حوله من جراء هذا المشهد، وأحس بأنه تورط بالفعل بشكل مباشر أو غير مباشر. فسارع هاني المنصوري المتحدث باسمه إلى نفي مسؤولية تنظيمه عن الحادثة. ولم تقنع الإدارة الأمريكية بذلك وظلت ترى التنظيم هو من يقف خلف العملية.[37]

فيما ذكر الباحث هارون زيلين في تقرير منشور في معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى في سبتمبر/ أيلول 2012 أن الهجوم على القنصلية الأميركية في بنغازي إنما كان بمثابة ثمرة تصاعد التيار السلفي الجهادي الذي انطلق نحو النيل من الإرث الصوفي في البلاد، ثم انتقل إلى الهيئات الدبلوماسية وتحديدًا القنصلية التابعة للولايات المتحدة الأمريكية[38].

المقاتلون السلفيون والشرطي الأمريكي

"أبو أنس" و"أبو ختالة"

راقب الشرطي الأمريكي منذ قيام الثورة الليبية تحركات السلفيين الجهاديين ورموز مقاتليهم منذ البداية، متحسسًا خطواتهم، ومعه أوراقهم وملفاتهم القديمة منذ عقود. وكان يرتقب اللحظة لقنص أهدافه بدقة ومهارة عاليتين لا يحول بينه وبين أهدافه أي حوائل، ولكنه كان ينتظر نقطة الصفر[39].

بالفعل اعتقلت الولايات المتحدة نزيه عبد الحميد الرقيعي الشهير بـ(أبي أنس الليبي) بعد مطاردة شرسة دامت أكثر من 13 عامًا، لاتهامه بالوقوف وراء التفجيرين اللذين نفذهما تنظيم القاعدة ضد السفارتين

الأميركيتين في تنزانيا وكينيا، التي أودت بحياة 224 شخصًا، وأصابت أكثر من 4500 فرد، هذه المهمة أسندت إلى القوات الأمريكية الخاصة التي توغلت في وسط طرابلس في وضح النهار، وبالفعل نجحت في اعتقال الرجل فيما برر الجانب الأمريكي اعتقاله بأنه جاء قانونيًّا بموجب قانون الحرب مدللًا "جاي كارني" المتحدث باسم البيت الأبيض ذلك بكون الليبي عضوًا في القاعدة ومطلوبًا للولايات المتحدة في تهم أخرى[40].

ما أقلق الجانب الأمريكي هو حيوية المقاتلين أصحاب الإرث الجهادي في الثورة الليبية، والذي كان الليبي أحد أرقامها الصعبة، برزت حيويته في مشاركته في المعارك إلى جانب الثوار الليبيين، وذلك عقب عودته من مدينة مانشستر البريطانية الذي مكث فيها منذ عقد التسعينيات من القرن الماضي إلى إعلان الثورة المسلحة على نظام القذافي، والتي فقد خلالها أحد أبنائه على يد القوات الموالية للقذافي خلال عملية "تحرير طرابلس" في أكتوبر/ تشرين الأول 2011[41].

في الوقت نفسه كانت القوات الأمريكية ترنو إلى اعتقال القيادي بأنصار الشريعة "أحمد أبوختالة" إلا أنها جمدت العملية، بعد اختطاف "أبي أنس الليبي"، الذي كان صيدًا سهلًا، ولاسيما أنه كان يمارس حياته بصفة شبه طبيعية في العاصمة[42].

أسهمت أنشطة أنصار الشريعة في وضعهم تحت المجهر الأمريكي الراغب في التعرف عليهم من قرب، ومن ثم قص أجنحتهم في خضم تصدرهم المشهد الجهادي في الداخل الليبي، خاصة بعد حادثتَي الهجوم على السفارة الأمريكية واحتجاز وخطف رئيس الحكومة الليبية آنذاك "علي زيدان".

من هنا كانت الحاجة إلى عملية ثانية لاختطاف "أبو ختالة" القائد السابق لكتيبة أبي عبيدة بن الجراح، الذي يعد من أبرز القيادات الإسلامية التي أطاحت بنظام العقيد معمر القذافي، وقد ورد اسمه أيضًا في قضية اغتيال القيادي العسكري الليبي عبد الفتاح يونس الذي قتل بعد ذلك، وما لبث أن جاء الإعلان من قبل الرئيس الأمريكي باراك أوباما أن أحمد أبو ختالة الذي يشتبه أنه

راقب الشرطي الأمريكي منذ قيام الثورة الليبية تحركات السلفيين الجهاديين ورموز مقاتليهم منذ البداية، متحسسًا خطواتهم، ومعه أوراقهم وملفاتهم القديمة منذ عقود. وكان يرتقب اللحظة لقنص أهدافه بدقة ومهارة عاليتين لا يحول بينه وبين أهدافه أي حوائل

قاد الهجوم على القنصلية الأمريكية في بنغازي عام 2012 قد تم اعتقاله، وأنه سيواجه نظام العدالة الأمريكي "بكامل قوته"[43].

أثبت اعتقال القيادات السلفية ورموز مقاتليها بأن الأرض الليبية لم تعد عصية على الاختراق الأمريكي من خلال قواتها الخاصة التي تسنح لها الفرصة لاعتقال ما شاءت من قيادات أو زعامات إسلامية، أنّى كان وجودها على الأرض الليبية، وهو ما يعني انتفاء السيادة الليبية، وعدم وجود دولة بالمعنى التقليدي المتعارف عليه، وقد أسهمت التيارات السلفية في هشاشة المشهد،

أثبت اعتقال القيادات السلفية ورموز مقاتليها بأن الأرض الليبية لم تعد عصية على الاختراق الأمريكي من خلال قواتها الخاصة التي تسنح لها الفرصة لاعتقال ما شاءت من قيادات أو زعامات إسلامية، أنى كان وجودها على الأرض الليبية، وهو ما يعني انتفاء السيادة الليبية

وهي كانت [عرابة] التدخل الأمريكي السافر للبلاد.

اللواء المتقاعد حفتر

تشكل فصل جديد للسلفية الجهادية على الأرض الليبية، يتمثّل في خوضها معركة سياسية وعسكرية مع القائد العسكري السابق اللواء خليفة حفتر، الذي شن في مايو 2014 حملة عسكرية أطلق عليها "الكرامة" ضد الإسلاميين المتشددين، وتحديدًا أنصار الشريعة، معتبرًا حربه على الإرهاب لازمة وضرورة وطنية، ويمكننا القول إن وقوف أنصار الشريعة أمام حفتر إحدى الحسنات القلائل للتنظيم، نظرًا لما كان يمثله من خطر على الدولة الليبية، لكونه إحدى أدوات النظام القديم، فلا يمكن إغفال دوره المساعد للعقيد القذافي في الإطاحة بالملك إدريس عام 1969[44].

على الفور وفي ظل المساجلات بين حفتر من جهة وخصومه -ولاسيّما أنصار الشريعة- من جهة أخرى، بادر محمد الزهاوي زعيم كتيبة "أنصار الشريعة" في بنغازي إلى اتهام الحكومة الأمريكية بدعم اللواء المنشق خليفة حفتر، الذي أطلق حملة تهدف لتطهير ليبيا من المتشددين الإسلاميين.

سارع التنظيم إلى تحذير حفتر من ادعاء محاربة الإرهاب، وتوعدت المجموعة حفتر بأنه سيلقي مصير معمر القذافي الذي قتل في 2011. ودعا محمد الزهاوي قائد الجماعة، في بيان من قنوات تلفزيون ليبية إلى عدم الاستماع إلى الرجل الرامي لتنفيذ مخططات أمريكا لتقسيم البلاد. وتوجه إلى القبائل الليبية بوجه خاص محذرًا إياهم من مغبة مساعدة حفتر وقتل أبنائهم من أجل قضية واهية، واصفًا الأمر بالفتنة[45].

قذافي جديد

اتهم الزهاوي اللواء حفترًا بأنه "قذافي جديد" و"عميل للمخابرات الأمريكية"، مؤكدًا عزم جماعته و"حلفائها" على "قتال الطاغية حفتر"، وسارع إلى تحذير الولايات المتحدة من التدخل في أزمة البلاد، وهددها بأنها ستواجه ما هو أسوأ من الصراعات، التي خاضتها في الصومال أو العراق أو أفغانستان[46].

في المقابل، وصف حفتر ورفاقه التنظيم بالفئة الضالة، وأنه ليس إلا جماعة متطرفة وإرهابية، تتخذ الإسلام ستارًا لها من أجل تحقيق مصالحها وبرامجها الإرهابية، ومن ثَمَّ فعلى كل الليبيين -من علماء ومواطنين ومنظمات وحتى المؤتمر الوطني الليبي- أن يواجهوا هذه الفئة، ويجب على الكل أن يقف وقفة واحدة ضد هؤلاء الإرهابيين حتى لا يحولوا ليبيا إلى وكر للإرهاب العالمي[47].

إلا أن أهم الضربات الموجعة التي أقدم عليها التنظيم صوب اللواء حفتر هو الهجوم الانتحاري بسيارة مفخخة استهدفت أحد

مقاره بشرق ليبيا، وأوقع ثلاثة قتلى من جنوده إلا أنه نجا بأعجوبة[48].

الخلافة ودولة البغدادي

فصل جديد يدفع أنصار الشريعة إلى الواجهة مرة أخرى من خلال السياقات الجديدة التي تمرّ بالمنطقة وبالمتغير الصاعد في الشرق الأوسط، وتحديدًا في سوريا والعراق بالتوازي مع ظهور ما يسمى بالدولة الإسلامية في العراق والشام "داعش"، وظهور ما يسمى بخليفة المسلمين أبي بكر البغدادي.

لاشك أن التأثير الداعشي في المنطقة بدا كبيرًا وعميقًا، ولاسيما أن ما يسمى بالدولة الإسلامية انتقل من فكرة التنظير والطرح الحالم بفكرة عودة "الخلافة" إلى الممارسة الفعلية على الأرض. وهو ما يمثل أداة جذب رئيسة للقوى الجهادية الفاعلة في المنطقة، خاصة بعد غياب بن لادن وارتباك الظواهري كقائد فعلي للتنظيم الذي بدا مترهلًا.

لذلك ما من شك في أن أنصار الشريعة باتت تحدث نفسها حول الانضمام إلى الدولة الإسلامية الجديدة ومبايعة خليفة المسلمين الجديد "أبي بكر البغدادي". وهو ما دفع نحو الحديث عن نية باتت أكيدة لدى أنصار الشريعة في مدينة درنة الليبية نحو تأسيس مقر جديد لدولة الخلافة، وتسميتها بـ"الدولة الإسلامية" كفرع تابع لـ"داعش"[49].

في المقابل يجد تنظيم الدولة الإسلامية المشهد الليبي موقعًا متميزًا لتمدد فكرته وأطروحته المتمثلة في "الخلافة الإسلامية"، نظرًا لتوفر المناخ المناسب لمقومات خلق فرع جديد للجماعة وتوظيف أنصار الشريعة لتقوم بهذه المهمة، في ظل غياب الدولة المركزية وانتشار السلاح ووجود مخزون هائل من الشباب السلفي الجهادي المستعد للانخراط في هذه الجماعة. فضلًا عن أنه من الممكن أن يكون بوابة خلفية للمصريين الراغبين في الالتحاق بالدولة الإسلامية من ليبيا ومعاضدتها من الجانب الشرقي[50].

وممّا يؤيّد هذه الفكرة ما أقدم عليه كلّ من سيف الله بن حسين المعروف بأبي عياض زعيم أنصار الشريعة في تونس، الذي يعد امتدادًا لنظيره الليبي، والناطق الرسمي باسم الجماعة سيف الدين الرايس تأييدهما التام والمطلق للدولة الإسلامية ولخليفتها[51].

وعلى الرغم من أن كل ما تقدم من احتمالية التقارب أو الاعتراف بداعش ما هي إلا تكهنات، يدلّل على هذا ما ذكره محمد الزهاوي، المسؤول العام لأنصار الشريعة بليبيا، من نفيه لأية علاقة لهذه المجموعة بتنظيم القاعدة أو أي تنظيم آخر خارج ليبيا. فضلًا عن تصريحاته بأنه تنظيم تشكل داخل ليبيا وله توجه بمفهوم الإسلام العام الذي يفهمه جميع المسلمين، مع وضوح مطالبه بتحكيم الشريعة[52].

إلا أن هناك من يذهب نحو علاقات غير مباشرة وغير معلنة بين التنظيم والدولة الإسلامية من جهة، والقاعدة من جهة أخرى، لكونها لا تريد أن تخسر أحدًا من الطرفين لعمق العلاقة بين التنظيم والقاعدة منذ عقود، وذلك لا يمنع وجود تبادل مشترك للمعلومات والتنسيق فيما بينهما، يشار إلى أن جماعات أنصار الشريعة لم تظهر بشكل لافت سوى في فترة ما بعد الثورات العربية أو ما يُسمي بالربيع العربي، خصوصًا

في شمال إفريقيا، مثل ليبيا وتونس، وإلى حد أقل في مصر والمغرب[53].

بدورها سارعت السلطات المصرية في الجوار الليبي إلى إعلان تخوفها من تطورات الأمر هناك، خاصة في ظل أنباء عن استعداد مجموعات متشددة لإعلان البيعة لداعش وزعيمها أبي بكر البغدادي، بالتوازي مع تخوف الغرب أيضًا خشية تحالف مرتقب بين أنصار بيت المقدس والمتشددين المتمركزين قرب الحدود الليبية، وهذا يمثل مشكلة كبرى لمصر التي تتوق إلى الاستقرار بعد اضطرابات "الربيع العربي".

استنتاجات الدراسة

نخلص من العرض السابق ومحاولة سبر أغوار الحالة السلفية الليبية إلى بعض النتائج المهمة الجديرة بالوقوف عليها، ويمكن إجمالها في النقاط الرئيسة الآتية:

1 -- الحالة السلفية حالة رخوة وليست متعمقة أو متجذرة في البنية المجتمعية هناك، إذ إنها حالة وافدة تعارضت مع الإرث الصوفي الطرقي والمنهجي الذي خاض حالة تحرر فريدة تجاه الاستعمار الإيطالي، ونجح بشكل كبير في تأسيس الدولة السنوسية بمملكتها التي ظلت إلى قيام ثورة القذافي، التي أطاح بها في نهايات العقد السادس من القرن المنصرم. وهو ما يعني أن السلفية تدور وفق المتغير في السلطة السياسية من خلال تحولاتها ومتغيراتها للسياق العام الملتف بها. فضلًا عن تأثيراتها الخارجية التي توازي الصعود السلفي في المنطقة ككل، إذ إن ليبيا بسلفيتها القائمة جزء لا يتجزأ من الفضاء السلفي العام في المنطقة.

2 -- المشروع السلفي إزاء مسارين لا ثالث لهما خلال المرحلة القادمة، يرتبطان بمدى بقاء الدولة أو إخفاقها، إذا افترضنا جدلًا القفز على الحالة الآنية والدخول في نوع ما من الاستقرار النسبي:

المسار الأول: من خلال الاندماج في المشروع السياسي وانتفاء الشكل الميليشاوي والتفرع إلى أحزاب سياسية تسمح لها بالانخراط الفعلي في المشهد السياسي بالتوازي مع مشروع دعوي خدمي ينفصل عن المسار السياسي.

المسار الثاني: اندفاع السلفيين نحو مزيد من العنف والتفرق في المشهد الداخلي على شكل ميليشاوي ذي طابع سجالي تصارعي، ولاسيّما أن هناك تصارعًا في الزعامات داخل تنظيم أنصار الشريعة على وجه الدقة، وهو ما يعني أن ذلك سيكون سببًا رئيسًا في التدخل الدولي والأممي نظرًا لخطورة الوضع الداخلي وانعكاساته خارجيًّا خاصة على دول الجوار.

وما يزيد المشهد تعقيدًا هو تصارع التحالفات الخارجية، وتأثيره السلبي وانعكاساته المباشرة على الداخل الليبي، وهو ما يصعب التكهن بما ستؤول إليه الأوضاع في المرحلة المقبلة داخليًّا.

3 -- إخفاقات حفتر الأخيرة ربما تكون عاملًا مساعدًا في استتباب الأمن، والدفع بعجلة الاستقرار النسبي إلى الأمام، والتي من شأنها أن تقوض الحركات السلفية الراديكالية وتدفع بالسلفية الدعوية إلى صدارة المشهد الديني لتشغل الفراغ الذي من المتوقع أن تتركه الميليشيات السلفية وأطرها الدعوية القائمة على الأرض، إلا أنها قد تأخذ وقتًا طويلًا بعض الشيء.

المصادر والمراجع:

(1)تحديات الصعود: دور إسلاميي ليبيا في بناء دولة ما بعد الثورة، عمر عاشور
http: / /s.v22v.net /BAL
(2)إسلاميو الثورة الليبية... الواقع والمآلات
http: / /www.albayan.co.uk / MGZarticle2.aspx?ID=1409
(3)المصدر السابق
(4) الخارطة السلفية الجهادية في ليبيا
http: / /s.v22v.net /LiDk
(5)التيار المدخلي :
كان الظهور العلني لهذا التيار في المملكة العربية السعودية إبان حرب الخليج الثانية 1991، التي كانت نتيجة غزو العراق تحت حكم صدام حسين للكويت، وبدأ هذا التيار في الظهور كتيار مضاد للتيارات المعارضة لدخول القوات الأجنبية كالإخوان والسرورية، كما أنها ذهبت أبعد مما ذهبت إليه مؤسسات الدولة الرسمية مثل هيئة كبار العلماء، والتي أفتت بجواز دخول القوات الأجنبية على أساس أن فيها مصلحة إلا أنهم لم يجرموا من حرم دخولها أو أنكر ذلك، فجاء الجامية واعتزلوا كلا الطرفين، وأنشأوا فكرًا خليطًا يقوم على القول بمشروعية دخول القوات الأجنبية، وفي المقابل يقف موقفًا معاديًا لمن يحرم دخولها أو ينكر على الدولة ذلك، وذلك على أساس مرجعية سلفية تتمترس بأدلة من القرآن والسنة .
سبب التسمية :يعرف هذا التيار في المملكة العربية السعودية "بالجامية" نسبة إلى محمد أمان الجامي الإثيوبي الأصل، وهو المؤسس الحقيقي لهذا التيار، أو يلقبون بـ"المدخلية " نسبة إلى ربيع بن هادي المدخلي، وهو أحد رموز هذا التيار في المملكة العربية السعودية، كما يسمى بتسميات أخرى إلا أن هذه التسميات جميعها غير معترف بها من التيار الجامي أو المدخلي الذي ينسب نفسه إلى السلفية، الخالصة، والذي يقوم على أساس منهجه على رفض الطائفية والفرقة والتحزب، فكان من الأولى رفضه إطلاق مسمى على نفسه، ولاسيما إذا كان يرجع إلى شخص مهما كانت مكانته.. وتحولت هذه المسميات من ألقاب تعطي توصيفات لتيار بعينه تمييزًا له عن باقي التيارات إلى لقب يعده الآخرون تهمة أو سبة تجرح من يتصف به، إلا أن رموز هذا التيار وعت ذلك، وقامت بالرد عليه وقبلت ضمنًا بهذا المسمى وحاولت أن تبيض وجهه بدلًا من تجاهل التعامل معه ونكرانه.
وأبرز رمـوزه: محمود لطفي عامر، أسامة القوصي، محمد سعيد رسلان، طلعت زهران، أبو بكر ماهر بن عطية، جمال عبدالرحمن، علي حشيش، عبدالعظيم بدوي. انظر: السلفيون المداخلة في مصر (دراسة) صلاح الدين حسن
http: / /salaheldinhassan.blogspot.com /2010 /12 /blog-post_408.html
(6)الخارطة السلفية الجهادية في ليبيا
http: / /s.v22v.net /DiVv
(7)الخارطة السلفية الجهادية في ليبيا
http: / /s.v22v.net /4Gg5
(8)جمعية الستين الوطنية التأسيسية، الساعدي القذافي وخططه للوصول إلى السلطة، عمر الكدي
http: / /s.v22v.net /MAF9
(9)-(10)الخارطة السلفية الجهادية في ليبيا
http: / /s.v22v.net /ZOm
(11)المصدر السابق
(12)المصدر السابق
(13)المصدر السابق
(14) التيار الإسلامي في ليبيا
http: / /s.v22v.net /hoZ
(15)الجماعة الليبية المقاتلة- الجزيرة
http: / /s.v22v.net /upIV
(16) التيار الإسلامي في ليبيا
http: / /s.v22v.net /Lz37
(17)-الجماعة الليبية المقاتلة من بيت الأنصار إلى بيت الصمود- عبد الغني مزوز
http: / /www.islamrevo.com /2012 /02 /blog-post_9751.html
(18)المصدر السابق
(19)المصدر السابق
(20)التيار الإسلامي في ليبيا
http: / /s.v22v.net /5ec
(21) الجماعة الإسلامية الليبية المقاتلة (المراجعات التصحيحية للجماعة) الجزء الثاني
http: / /www.assakina.com /center / parties /9489.html#ixzz3Ax0GRns3
(22)غضب السلفيين في ليبيا- فريدريك ويري
http: / /carnegie-mec.org /

publications /?fa=49365
(23)المصدر السابق
(24)من هم "أنصار الشريعة" في ليبيا؟
http: / /s.v22v.net /dDKi
(25) الخارطة السلفية الجهادية في ليبيا
http: / /s.v22v.net /MwRf
(26)أنصار الشريعة: الذراع الأيديولوجية والمورد البشري لتنظيم القاعدة
الجماعات الجهادية والتكفيرية وفي مقدمتها القاعدة تشكل خطرًا خصوصًا بعد أن نشطت علانية في زمن الإسلاميين.
http: / /www.alarab.co.uk /?id=22907
(27) غضب السلفيين في ليبيا- فريدريك ويري
http: / /carnegie-mec.org / publications /?fa=49365
(28)-(29)-(30)-(31) موسوعة السياسي الليبي: أنصار الشريعة في ليبيا
http: / /alsyasee.wordpress.com /2014 /05 /28 /ansar-al-sharia-libya/
(32) خبير: "أنصار الشريعة" تنظيم واحد في كل من ليبيا وتونس، والجماعتان استفادتا من ضعف سلطة الدولة المركزية في البلدين.
http: / /s.v22v.net /oGB
(32)مقتل السفير الأمريكي و3 أمريكيين في هجوم على القنصلية الأمريكية في بنغازي
http: / /www.bbc.co.uk /arabic / middleeast /2012 /09 /120912_us_libya_ambassador.shtml
(33) غضب السلفيين في ليبيا- فريدريك ويري
http: / /carnegie-mec.org / publications /?fa=49365
(34)المصدر السابق
(35)-(36) أنصار الشريعة الذراع الأيديولوجية والمورد البشري لتنظيم القاعدة
الجماعات الجهادية والتكفيرية وفي مقدمتها القاعدة تشكل خطرًا خصوصًا بعد أن نشطت علانية في زمن الإسلاميين.
http: / /www.alarab.co.uk /?id=22907
(37)-(38) الخارطة السلفية الجهادية في ليبيا
http: / /s.v22v.net /oHxm
(39)-(40)-(41)ضجة غير مسبوقة حول ما إذا خُطف أو اعتقل، حكاية أبو أنس الليبي من الألف إلى الياء
http: / /www.elaph.com /Web / news /2013 /10 /841086.html
(42)أمريكا جمدت اعتقال زعيم أنصار الشريعة
http: / /s.v22v.net /nIBc
(43)متورط بمقتل السفير الأميركي بهجوم بنغازي 2012
أوباما يكشف اعتقال المتشدد الليبي أبو ختالة
http: / /www.elaph.com /Web / News /2014 /6 /914920.html
(44) ليبيا... جماعة "أنصار الشريعة" تتوعد واشنطن وتحرض ضد حفتر
http: / /s.v22v.net /lmf
(45)-(46) الحكومة الليبية تصف جماعة تنظيم أنصار الشريعة بالجماعة الضالة
http: / /www.marocz.com /2014 /06 /blog-post.html
(47)«حفتر» يعلن الحرب على «أبو عياض»... ويعدّ «الإخوان المسلمون تنظيمًا إرهابيًّا»
http: / /shababunity.net /show.php?id=1000270
(48)بنغازي: نجاة اللواء حفتر من هجوم انتحاري على مقره أوقع ثلاثة قتلى
http: / /www.alquds.com /news /article / view /id /507658
(49)"أنصار الشريعة" في ليبيا تعتزم مبايعة البغدادي
http: / /s.v22v.net /JOV
(50)-(51)-(53)أنصار الشريعة في ليبيا تتمرد على القاعدة بتأييد داعش
تنظيم أنصار الشريعة يعتزم إعلان درنة مقرًّا لدولة الخلافة في ظل تصاعد المخاوف من رد فعل القاعدة إزاء مبايعة البغدادي
http: / /www.alarab.co.uk /?id=27449